

نظرة على كتاب "المقاصد العلية" - قيس بهجت العطار
فصلنامه تخصصی مطالعات قرآن و حدیث سفینه
سال دهم، شماره ۳۸ «ویژه علامه امینی»، بهار ۱۳۹۲، ص ۱۴۴ - ۱۶۱

نظرة على كتاب "المقاصد العلية"

قیس بهجت العطار*

چکیده: المقاصد العلية في المطالب السنية، کتابی از علامه عبدالحسین امینی است در باب چهار آیه از قرآن، که به مباحث عالم دز، توحید، اسماء حسناى الهی و قیامت می پردازد. این کتاب، برای نخستین بار در سال ۱۳۹۱ شمسی به تحقیق سید محمد طباطبایی یزدی منتشر شده است. نگارنده این مقاله - که به زبان عربی است - پس از مروری کلی بر درونمایه کتاب، به بیان ویژگی های آن می پردازد، مانند: کاربرد شعر و ادبیات، زمینه سازی آن برای کتاب الغدير، حواشی مفید، ادب و انصاف او در نقد دیدگاه ها. نگارنده مقاله، از خلال مطالب کتاب، نکاتی استخراج کرده، مانند دیدگاه امینی در باب احادیث عالم دز، گزارشی از کتابخانه شخصی امینی و نفایس آن، ویژگی های تحقیق متن.

کلید واژه ها: المقاصد العلية في المطالب السنية (کتاب) - نقد و بررسی / عالم دز - دیدگاه عبدالحسین امینی / امینی، عبدالحسین - پژوهش های قرآنی / امینی، عبدالحسین - نفایس

*. شیخ قیس بهجت العطار، استاد دانشگاه

کتابخانه / الغدير (کتاب) - ارتباط با کتاب المقاصد العلية / اخلاق نقد.

بسم الله الرحمن الرحيم

المزاوجة بين العلم والأدب عند العلامة الأميني



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

و بعد، فإن المؤلفين على مرّ العصور كثر لا يحصون، والمؤلفات على تنوع مواضيعها واختلاف مشاربها ومساربها لا تُحَدُّ بِحَدٍّ ولا تُخَصَّرُ بِحَاصِرٍ، وبين هذا وذاك كانت ومازالت المعادلة المطروحة هي أنّ بعض الكتب عُرِفَتْ واشتهرت من خلال شهرة مؤلفيها، فطارت كُلُّ مطارٍ بغُضِّ النظر عن محتواها، وبعض الكتب الأخرى هي التي عُرِفَتْ مؤلفيها وإن كانوا من قبل ليسوا ذائعي الخبر ولا طائري الصَّيْتِ.

و بين هاتين الكفتين برز رجال أفذاذ ذوو مؤلفات باهرة، فخرقوا المعادلة المذكورة العامة، فكانوا هم ومؤلفاتهم كُفِّرَسي رهان، فهذا يُعَرَّفُ ذاك، وذاك يُعَرَّفُ هذا. وهؤلاء المعدودون في هذه المعادلة الجديدة هم القلة القليلة التي تزاوجت مع علومها، فأنجبت مزيجاً فذاً من المؤلف والمؤلف.

و لك أن تُنْظِرَ لذلك بالشيخ المفيد والشيخ الطوسي والعلامة الحلي وأضرابهم من كواكب العلم، وعلى المدى القريب لك أن تتمثّل أمام ناظريك القاضي نور الله المستري والعلامة المجلسي والسيد عبد الحسين شرف الدين وأمثالهم، فإذا تمليتهم وتأملت في سرّ عبقريتهم، وقفت على جليّة الأمر و سرّ الخلود لهؤلاء المؤلفين ومؤلفاتهم.

و في هذا المضممار يتصدّر المجلس ويتربّع على الدست الشيخ الأجل العلامة الفذّ الشيخ عبد الحسين الأميني قدس سرّه.

فما هو السِّرُّ في هذه المعادلة الجديدة؟

إنَّ السِّرَّ في ذلك يكمن في عدَّة نواحٍ تمتاز بها شخصية المؤلِّف و المؤلِّف الشاخص، و يحتاج بيان ذلك في كلِّ شخص و كلِّ مؤلِّف إلى دراسة موسَّعة تستجلي كوامن العظمة في المؤلِّف و المؤلِّف، و لذلك انطلقت الدراسات الأكاديمية و الحوزوية في هذا المجال، فكانت الثمار و كانت حصائل البحوث هي التي عليها المدار في جميع أندية العلم و محافله في العالم.

لكنَّ ما نريد أن نقف عليه في هذه العُجالة هو استجلاء جانب المزاوجة بين العلم و الأدب في شخصية العلامة الأميني قدس سرّه و مؤلِّفاته، خصوصاً الكتاب المعقود لأجله هذه المقالة، و هو كتاب «المقاصد العليّة في المطالب السيّية»، مضافاً إلى ميزات أخرى سنتناولها في ثنايا الكلام.

إنَّ أوَّل ما نلاحظه في هذا الكتاب النفيس هو تناوله لآيات قرآنية بعيدة المغازي سحيقة الأغوار، ليس لأحدٍ أن يدلي فيها بدلوه إلا من خلال الاستلهام من أهل بيت العصمة و الطهارة، لأنَّها تتناول عالم ما قبل الخليفة من عالم الذرّ و أخذ العهد، و ذلك في قوله تعالى: *وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ * (الأعراف (٧) / ١٧٢)

ثم تتناول الأسماء الحسنی و تأويلها، و هي التي أمر الإنسان أن يدعو بها ليقطع بها مسيرته الإيمانية في الأرض، و ذلك في قوله تعالى: *وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * (الأعراف (٧) / ١٨٠)

و تناول ثالثاً ما قبل القيامة، و عند قيام العدل الإلهي على الأرض قبل يوم القيامة، و ذلك عن خلال تناول مفهوم الرجعة عند ظهور قائم آل محمد ﷺ، و كان ذلك عبر قوله تعالى: *قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا اثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ * (غافر (٤٠) / ١١)

و رابعاً و ختاماً بيّن قدس سرّه عاقبة الأمر يوم القيامة، و كيفية تقسيم الخلائق

عند ذاك من حيث الجنة و النار و السَّبَق و القُرْب، و ذلك في قوله تعالى: * و كنتم أزواجاً ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * و أصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة * و السابقون السابقون * أولئك المقربون * (الواقعة (٥٦) / ٧ - ١١)

و هذه الرُّباعية في الانتخاب تمثّل الرُّقيّ الفكري عند المؤلّف و استنطاقه أربع مواضع قرآنية لبيان جميع مراحل الإنسان و سبيل النجاة، فالذرّ ثم البَدْء، ثم الطريق، ثم ما قبل العاقبة، ثم العاقبة. و قد تناول المؤلّف كلّ هذه المفاهيم معتمداً على مدرسة أهل البيت عليهم السلام دون الالتفات إلى ما وُسّوس به الموسوسون و هَلُوس به المهَلُوسون من أتباع المدارس الأخرى.

و يبدو واضحاً جليّاً في فكر المؤلّف الأميني نزعة المَعْرِفة المستقاة من تفاسير و تأويلات أهل العصمة و الطهارة لا غير، اللهمّ إلا أن يأتي بروايات غيرهم للإلزام، بل نراه يركّز بشكل كبير على الاعتماد على صحاح المرويات.

ففي المطلب الثالث من الكتاب - و هو الذي ارتأينا أنّه أوّل المطالب - عند بيان عالم الذرّ و أخذ العهد، يذكر المعنى مُستلّاً من الروايات، ثم لا يكتفي بذلك حتّى يذكر تسعة أحاديث مسندة في المطلب المذكور.^١

ثم يتعرض لبيان ميزان التفاضل و أن مداره على انقياد الإنسان لمولاه، مردفاً ذلك بثلاثة عشر حديثاً مخدوفة الإسناد للاختصار.^٢

و يتعرض بعد ذلك لعلة سَبَق النبي صلى الله عليه وآله لسائر الأنبياء عليهم السلام فيذكر في ذلك سبعة أحاديث مفيدة مع ذكر مصادرها.^٣

و يتحدّث بعد ذلك عن سَبَق أمير المؤمنين عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله في الخلق الأوّل، و

١. أنظر ص ١٣٣ - ١٣٩ من الكتاب.

٢. أنظر ص ١٥٣ - ١٥٥ من الكتاب.

٣. أنظر ص ١٥٧ - ١٥٩ من الكتاب.

أنه لذلك كان أمير المؤمنين من الأولين والآخرين، فيذكر في ذلك أربعة عشر حديثاً
مخدوفة الإسناد المذكورة المصادر.^١

ثم يذكر أخذ الله ميثاق الولاية على الناس في يوم الخلق الأول و عالم الأظلة،
فيقول: «وورد النص بذلك في أحاديث كثيرة تقرب إلى ثلاثين حديثاً مسنداً، و
نقتصر في المقام على عشرة أحاديث». (ص ١٨١)

و يتطرق لمعنى قوله تعالى: ﴿ثم لنسألن يومئذ عن النعيم﴾ (النكاثر (١٠٢) / ٨)، و
قوله تعالى ﴿وقفوههم إنهم مسؤولون﴾* (الصفات (٣٧) / ٢٤)، فيقول: «وورد النص بذلك
في أخبار كثيرة بطرق العامة و الخاصة في تفسير هاتين الآيتين، و نحن نقتصر منها
بذكر عشرة أحاديث». (ص ١٨٩)

ثم يذكر الآيات المتعلقة ببحث الذرّ و أخذ العهد، فلا يتناولها إلّا مع الحديث
الشريف، فيقول: «و أما الأدلة النقلية من الكتاب و السنة، فنقول: أمّا الآيات فهي تبلغ
عشرين آية نذكرها مرتبة مع ما يرجع إليها من الأخبار». (ص ١٩٦)

و يأتي إلى صلب موضوعه فيذكر ٢٧ حديثاً في معنى قوله تعالى: ﴿و إذ أخذ
ربك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم﴾... إلى آخر الآية.^٢

و عند بحثه في الآية التاسعة عشرة و هي قوله تعالى: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك
لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ (الأنعام (٦) /
١٥٨)، يذكر رواية فيها^٣، ثم يردفها بذكر ٧٣ رواية في الخلق الأول والميثاق، ثم يقول:
«هذه جملة من أخبار المسألة، و هي مع ما ذكرناه تحت الآيات مائة و خمسون

١. أنظر ص ١٧٧ - ١٨١ من الكتاب.

٢. أنظر ص ١٩٦ - ٢٠٩ من الكتاب.

٣. أنظر ص ٢٣٢ - ٢٣٤ من الكتاب.



حديثاً، وقد اقتصرنا بهذه الجملة خوفاً من الإطالة والإطناب، وإلا فالأخبار الواردة من الفريقين في المقام كثيرة تَصَاعُفُ على ما ذُكِرَ، وأكثر الأخبار المذكورة نقيّة السند مُتَّقَنَةٌ معتبرة جداً كما لا يخفى على أرباب الفن، وكثير منها في أعلى درجة الصحة» (ص ٢٧٠)، ثم ذَكَرَ بالتفصيل حال سند أربعين حديثاً منها^١.

وهذا المسلك سَلَكَه بعينه في كُلِّ كتابه، فهو يعتمد على القرآن المجيد مشفوعاً بالسنة المطهرة، متوخّياً في كُلِّ ذلك تحقيق الاستفاضة أو الشهرة أو التواتر، بانياً على صحاح الأخبار والآثار، غير مُغفل ما يرويه العامة، بل يأتي به على نحو الإلزام أو التعصيد. وهذا هو منهج العلامة الأميني قدس سره في كتابه هذا، بل في كل كتبه ومؤلفاته وتعليقاته.

وقد لا يفوت القارى النبيه أسلوب العدّ والترقيم الذى كان لا يفارق مطالبه العلمية، فهو يعدّ الأحاديث الواردة في محل بحثه، ويذكر ما يذكره منها محصوراً لا مُبَعَثَراً، وذلك بعد الجمع والاستقصاء والغلبة، فيأتي بزبدة المخض ليسيغها للطالبين بلا عناء وعلى أحسن وجه.

ومن جملة أسلوبه الاستقصائي ذكره لأسماء يوم الذر الواردة في أحاديث أهل العصمة والطهارة بما لم أره في مكان أو مظنٍّ آخر، حيث قال: «ويسمى ذلك العالم ب: يوم الميثاق، ويوم الجمع، ويوم الشاهد، ويوم المشهود، ويوم العرض الأول، ويوم الخلق الأول، ويوم التكليف الأول، ويوم البعث الأول، ويوم الإقرار، ويوم الولاية، ويوم "بلى"، وعالم الذرّ، وعالم "ألست" وعالم الأظلة». (ص ١٣٦)

يضاف لكل ذلك الحالة الموسوعية التى يمتاز بها بشكل مذهل، حيث يوشح كل ذلك بالاستنباطات الفقهية، والقواعد الأصولية، والمباني التفسيرية، وعلم الحديث والرجال والدراية، والحقائق التاريخية، والنكت الأدبية، واللفظات

١. أنظر ص ٢٧٠ - ٢٨٦ من الكتاب.

البلاغية، و التتف المعارفية، و القبسات النادرة، و الاحتجاجات البليغة، و الأجوبة المسكتة، و وو.... فيخرج من كل ذلك كتابه آية في كل زاوية من زواياه و مطلب من مطالبه، و يعكس بذلك عبقريته اللامتناهية في كل مجالات المعرفة، فبذلك يكون كتابه حاكياً عن عظمته، و عظمته مطبوعة على كتابه.

ملاحح الأدب في الكتاب

والذي نريد أن نسلط عليه الضوء هو أدب الشيخ الأمين في هذا الكتاب و أسلوبه و وحدة قلمه.

فقد امتاز الشيخ الأمين - رغم كون منحدرة من تبريز - بحبه للأدب العربي، و تملعه من أشعار العرب، و إبحاره في التراث الأدبي الشيعي، و تتبعه لأمثال العرب، و إجادته في الاستعمالات الحديثة دون الاقتصار على جناف القلم العلمي القديم. فيها نحن نرى مؤلفاته تضيح و تعج بأشعار العرب، و لا يكاد يخلو مؤلف من مؤلفاته، بل موضوع من مواضيعه من الشعر العربي و النبرة الأدبية.

فما أن طوى قلمه ست صفحات من المطلب الأول^١ - في معنى قوله تعالى: ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ (غافر (٤٠) / ١١) - حتى عرج على ذكر أبيات لأحد الأدباء الفلاسفة - و هو ابن سينا - في أن الحياة الحقيقية هي العلم و الرقي المترتبان على الوجود الإنساني:

هذب النفس بالعلوم لترقى	وترى الكُلّ فهي للكلّ بيث
إنما النفس كالزُّجاجة والعق	ل سراج و حكمه الله زيت
فإذا أشرقت فأنك حي	وإذا أظلمت فأنك ميث (ص ١٩)

و يسترسل بذكر كلمات إمام البلاغة أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليه السلام في ذلك المجال ثم يتبعها ببيت للإمام أمير المؤمنين عليه السلام. ثم يذكر خطبة للإمام أمير المؤمنين

١. و هو الذي ارتأينا أنه ثالث المطالب.

من نهج البلاغة يقول فيها: «فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصده عنه، وذلك ميت الأحياء»، فإِلاحِظُ الأَمِينِي هنا الشعراء الذين اقتسبوا هذا المعنى، فيقول:

«وأخذ الشاعر هذه الكلمة الفصيحة، فقال:

ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما المَيِّتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ
 إنما المَيِّتُ من يعيش كتيباً كاسفاً بألّه قليل الرجاء

وقال آخر في المعنى:

وفي الجهل قبل الموت موتٌ لأهلِهِ وأجسادهم دون القُبُورِ قُبُورُ
 وإن امرءاً لم يحَيِّ بالعلم قلبُهُ فليس له حتى النُشُورِ نُشُورُ

وأنشد عيسى بن علي الوزير - المعروف بابن الجراح - لنفسه:

رُبَّ مَيِّتٍ قد صارَ بالعلم حياً ومُبَيِّتٍ قد حازَ جهلاً وغيّاً
 فافتنوا العلم كي تنالوا خلوداً لا تعدوا الحياة في الجهل شيئاً^١

ولا يعلم هذه الاقتباسات والاستفادات وتمييزها من السرقات إلا من كان ذا باع طويل في الأدب، وذا مِرَّةٍ في التَّقدُّدِ والتمحيص.

وذكر في المطلب الأول أيضاً قول أمير المؤمنين عليه السلام: «إنما الدنيا دار ممزّ، و الآخرة دار مقرّ، فخذوا من ممزّكم لمقرّكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم»، وقال عليه السلام: «أهل الدنيا كركب يُسار بهم وهم نيام»، ذكر هذين الكلامين، ثم قال: «قال أبوبكر محمد بن الوليد الطرطوشي:

إنّ لله عــــبــــاداً فُــــطُناً طلقوا الدنيا وخانوا الفتنا
 نظروا فيها فلما علموا أنّها ليست لحىً وطناً

١. أنظر ص ٢٠ - ٢١ من الكتاب.

جعلوها لُجَّةً واتخذوا صالح الأعمال فيها سُفُنًا^١

وهذه الالتفاتة مثل سالفاتها في النباهة و الجِدْقِ الادبي.

و بالرغم من أنَّ كتابه المنظور - المقاصد العلية في المطالب السنية - من أوائل مؤلفاته، وهو قبل كتاب "الغدير" على القطع واليقين، إلا أنَّ وَحْدَةَ النهج والنسق تكادُ تُلمَسُ في كليهما، وإن كان أسلوب الغدير أمتن وأرصن كما سنشير إلى ذلك، لكن المسار العام هو تقاربهما في النهج والنسق.

لقد ذكر العلامة الأميني قدس سره في كتابه الغدير روائع من شعر ابن حماد لم يذكرها غيره، و تجدُ كذلك نُتْفَةً منها في المقاصد العلية، فبعد أن ذكر الحديث النبوي - في أنَّ الله عز وجل شَقَّ لعلی اسماً من أسمائه، فهو العلي الاعلى، وأمير المؤمنين عليّ - ذكر قول ابن حماد:

الله سَمَّاهُ علياً باسمه	فَسَمَّا عَلِوًّا فِي الْعِلَا وَ سُمُّوْقَا
وَ اخْتَارَهُ دُونَ الْوَرَى وَ أَقَامَهُ	عَلَمًا إِلَى سُبُلِ الْهَدَى وَ طَرِيقَا
أَخَذَ الْإِلَهَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلَّهَا	عَهْدًا لَهُ يَوْمَ الْغَدِيرِ وَثِيقَا
وَ غَدَاةَ أَخِي الْمَصْطَفَى اصْحَابَهُ	جَعَلَ الْوَصِيَّ لَهُ أَخًا وَ شَقِيقَا ^٢

بل كان الأميني قدس سره يتتبع المطالب العلمية في شعر شعراء الشيعة و لانفوته منها شاردة و لا واردة، لذلك نجده عند الحديث عن عالم الذرّ يقول: «هذه جملة من قسمة المنثور من كلمات علماء الامامية الاجلّة، و أمّا ما ورد في المسألة نظماً من العلماء الامامية رضوان الله عليهم و من سائر أطباق الفريقين فهي كثيرة جداً، نستروح بذكر جملة منها» (ص ٣٢٥)، ثم راح ينوّر صفحاته بشعر للشيخ جابر الكاظمي والشيخ محمّد علي الاوردبادي والشيخ صالح التميمي، و عبد الباقي

١. أنظر ص ٥٠ من الكتاب.

٢. أنظر ص ٧١ من الكتاب، والغدير، ج ٤، ص ١٥٠.

العمري، و صالح بن قاسم الحويزي النجفي المعروف بـ "صالح حجي"، و السيد عدنان البحريني - أو محمد الموسوي - والسيد الحميري، و ابن حماد، و الحر العاملي، و جواد الشيباني، و محمد بن فلاح الكاظمي، و السيد حسين بحر العلوم، و الشيخ حسين نجف، و السيد عباس المفتي التستري، و ابن العرندس، و الشيخ كاظم الكويتي، و أبي القاسم الزاهي، و معتوق بن شهاب الموسوي، و ابن الفارض، و محيي الدين بن عربي، و محمد حسن أبي المحاسن الحائري، و الشيخ طالب شرع الإسلام مصرّحاً بأنه ترجمه في كتابه شعراء "الغدير"¹، و قد ختم المطلب الثالث من كتابه بهذه الكوكبة من الاشعار.

و بين هؤلاء الشعراء و أشعارهم كان يذكر أشعاراً فارسية في الذرّ و الميثاق. و استيعاب هذا العدد الضخم من الشعراء، و انتقاء ما يخصّ الذرّ من أشعارهم، يعني مطالعته لدواوين جمّة، و استقراء الشعراء و أشعارهم، و هذا الأمر لا يعرف عُسرَه إلا من يكابده، و لا يتحسّسه إلا من تجشّم عناء البحث و التنقيب و الاستقصاء و انتخاب ما يخص الموضوع المراد استلاله من شعر الشعراء و دواوينهم المطبوعة و المخطوطة.

و بين الشعراء الذين ذكرناهم آنفاً يلمع اسم صديقه الشيخ الحجة محمد علي الأوردبادي، الذي كان خليفته و صفيّه و بلدّيّه، و الذي كان يُكنّى كُلاًّ الإجلال و الاحترام و التقدير للعلامة الأميني، و كان العلامة الأميني يقابله بمثل ذلك. لم يغفل الأميني صديقه الأديب الألمعي هذا، بل راح يستنطقه عما عنده من مخزون الأدب، و مكنون القريحة حول عالم الذر، فكان أن رَفَدَ العلامة الأوردبادي

١. أنظر ص ٣٢٣ - ٣٢٦ من الكتاب. و هذا يعني أنّه كان قد ألف *الغدير* أو قسماً منه، أو كان مشغولاً بتأليفه، و يدلّ على ذلك أنّه ذكره هنا باسم «*شعراء الغدير*»، لكن يبدو أنّه حين أتمّه اختار اسمه النهائي «*الغدير في الكتاب و السنة و الأدب*».

العلامة الأميني بما عنده.

قال الأميني: «وقال شيخنا المفضل الأجل، عَلم العلم و الأدب، العلامة الميرزا محمد علي ابن الشيخ حجة الإسلام الميرزا أبو القاسم الاوردبادي، و قد أنشدني شعره هذا في بلدة تبريز:

أباحسن إن يجحدوك فطالما بمننثر الحصباء عيَض عن الدُرِّ
ألم يكفهم غديرٌ حُصٍّ مَنْصَّةً على سالف الميثاق في عالم الدُرِّ
و قال دامت بركاته في قصيدة رائية طويلة قالها يمدح بها شهداء علماء الشيعة المذكورين في كتابنا "شهداء الفضيلة"^١، المؤلَّف في تاريخ حياة شهداء علماء الإمامية رضوان الله عليهم:

و قُل فيهم ما شئت من مفخرٍ لهم
و ما شئت من أمرٍ فحدِّث عن البحرِ
و ما نزلوا للموت وَهناً و إنما
حداهم لهُ الميثاق في عالم الدُرِّ
هناك إذ جاءوا بعهد مُؤكَّدٍ

فلم يُلَف منهم بعده وَجْهٌ مُزَوَّرٌ» (ص ٣٢٦)
و هذا الأمر ينبىء عن أنَّ الأميني كان يستقصي حتَّى ما عند معاصريه في كتاباته لكى لا يفوته شىء مما يرفد موضوعه بالعطاء، و هذه لعمرى خصلة الباحث المتتبع الذى يزن الأمور بموازينها، و يأخذ من كلِّ رائعة ما يزينها.

الهوامش و الحواشى

من الأمور التي يعرفها العلماء والمحققون ما للهوامش و الحواشى من فوائد لا يستغنى عنها في الكتابات و المؤلفات ذات الثقل العلمى الكبير، فإن البحر إذا

١. هذا يدلُّك على أنَّ كتاب شهداء الفضيلة أُلِّف قبل كتاب المقاصد العلية.

فاض عبايه و ازدحمت أمواجه وكثرت عقبيانه، رَمَى بِلأئه و جواهره إلى الساحل، لذلك تزدان غالبية الأسفار و الكتب الرصينة بهوامش و حواش تتلائم ضخامة و محتوي مع متن الكتاب، و هذا ما يرصده القارى لكتاب "المقاصد العلية في المطالب السنية"، حيث كثرت في هوامشه و حواشيه الفوائد العلميّة مشفوعة بنفس القلم و الطريقة و الأسلوب، و ذلك زيادة في الإفادة، و حرصاً على عدم فوات أيّ مطلب من المطالب، أو تنبيه من التنبيهات، بحيث لا تضرّ بنسيج المتن، لذلك يستعاض عن المتن بالهامش و الحاشية، و لكى لا يلتبس الامر على واجد النسخة من بعد، فإنّ المؤلّف يذيل هامشه بعبارة تدلّ على المهمّش لئلا يختلط بهامش كاتب أو معلق آخر، بما يهمّش المحقّق للكتاب.

و هذا الطريقة نجدها عند كبار العلماء و الفقهاء و الأدباء، و قد عَنيت بها كتب العلامة الأمينى و تحقيقاته، تجدّ ذلك واضحاً فى تحقيقه لكتاب كامل الزيادة، كما تجده في كتاب المقاصد العلية، و كم كان بوذى أن تطبع هذا الهوامش بخطّ أو حجم آخر للحرف لمتناز عن هوامش التحقيق، خصوصاً في الموارد التى تكون مثاراً للخلط و الاشتباه^١، و يتمّ بذلك العمل الجليل الذى قام به سماحة حجة الاسلام السيّد محمّد الطباطبائى اليزدى حفظه الله.

و على كلّ حال، فإنّ نظرة سريعة إلى الهوامش توقفنا على ما قلناه من متانة التعليقة و علميّتها مصحوبة بالقلم السيّال المتماسك الأطراف.

خذ مثلاً على ذلك بيانه الكافى الشافى للوجوه و الأقسام المتصورة في رؤية الله تعالى، و أنّ كلمات أهل البيت عليهم السلام كلّ منها ناظر إلى قسم من الأقسام، حيث قال في الهامش: «اعلم أنّ رؤية الله تعالى إنّما تُتصوّر على أقسام أربعة، و النفى و الاثبات الوارد في أخبار أهل البيت العلم و الحكمة عليهم السلام كلّ منها ناظر إلى قسم واحد منها»

١. و ذلك مثل الهامش ٣ من ص ٤٢.

(ص ١٣٩)، ثم راح يبين الأقسام الواحد تلو الآخر بأربع صفحات مملوءة بالحرف المطبوعى الناعم، خاتماً كلامه الشريف بتشطير الشيخ عبدالحسين التستري الكاظمى أبيات الصدر العاملي:

«علمي بشطر صفات الإله» خُصِّصَتْ و غيري يرى الكُلَّ لك
 «فتسيرك القُـلُـك مِمَّا به» حُـبِّـت و فيك يدور القُلُـك
 «ولمَّا أراد الإله المـثـال» لِمُقْدِسِي أوصافه شَكَّـلـك
 «ولمَّا قضى أن تكون الدليل» لِنَمِي المـثـيـل لهُ مَثَلُـك
 «ولولا القُلُـلُ لَكُنْتُ أقول» و لكنَّ مَن قال قبلي هَلَك
 «بأنك أنت الإله الَّذي» جَمِيعُ صفاتِ المَهِمِنِ لك

و خُتِمَ ذلك بعبارة «منه رحمه الله تعالى»^١.

وهنا أيضاً يلاحظ الوقع بالأدب العربي وبالأسلوب الشَّيْق في مزاجه المطالب العلمية بالأدب الهادف.

وعند نقله قول رسول الله ﷺ في حق أمير المؤمنين عليه السلام: «إنه أول من آمن بالله و رسوله، و لم يسبقه إلى الإيمان بى أحدٌ بُعِثَ؛ مَلَكٌ مقَرَّب و لانبِيَّ مرسل»، همَّش المؤلف لبيان المراد من المبعث في هذا الحديث الشريف، و أنه المَبْعَثُ الأوَّل من مَبْعَثِي رسول الله ﷺ، فبيِّن ذلك بالأحاديث و الأدلة بصفحتين كاملتين في الهامش، و كتب في آخر الهامش: انتهت تعليقه المؤلف قدس الله نفسه الزكية.^٢

و بعد ذكره ٧٣ حديثاً في عالم الذرّ، و بيانه لحال أسانيد أربعين منها، انطلق قلمه الأمين ليقول: «ليت شعري بأيّ كتاب أم بأية سُنَّة يُعَرَّضُ عمّا أخبر به تراجمة وحي الله و لسان حكمته؟! وكيف يُهْمَلُ معنى تفيده الأدلة الكثيرة من الآيات والأخبار، و

١. أنظر الهامش في ص ١٣٩ - ١٤٣ من الكتاب.

٢. أنظر الهامش في ص ١٧٠ - ١٧١ من الكتاب.

يؤخذُ معنىً ليس في الكتاب و السُّنَّة عيَّن ولا أثرٌ ممَّا يدلُّ عليه؟!» (ص ٢٨٧)
ثم ذكر أنَّ تلك الأحاديث مروية كلُّها عن رسول الله ﷺ والأئمة الاثنى عشر عليهم السلام،
و أنَّ روايتها عن المعصومين جماعة تزيد عدَّتهم على خمسين، وأكثرهم ثقات
عدول أثبات أجلاء من أصحابنا الإمامية رضوان الله عليهم اجمعين، ثم راح
يعدّدهم.^١

و عند الاسم الأخير من أولئك الأجلة الخمسين، قال مهمّشاً: نذكر حال أربعين
رجلاً ممن تنتهى إليه أسانيد أخبار المسألة على وجه الاختصار والإشارة: ١- أحد
أركان الدين ٢- أحد أركان الأربعة ٣- ثقة جليل ٤- أحد أكابر الصحابة ٥- مشكور
من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام ... و هكذا استمرَّ في بيان ألفاظ توثيقهم و تعديلهم و
مدحهم حتّى عدَّ أربعين عبارة، و كُتب في نهاية الهامش: منه رحمه الله.^٢
و في هذا الهامش من الفائدة للمطالع ما لا غنى عنه في هذا المقام، و هو مقام
الاستدلال و البيان.

و لعلَّ مطالعة سريعة للهوامش توقف الباحث على ما قلناه و تغنينا عن الإطالة
في هذا المجال.
مكتبة و نسخة

و من الميزات التي امتاز بها هذا الكتاب - أعنى المقاصد العلية في المطالب السنية - هو
ذكر العلامة الأميني في أثناء بحوثه نسخة المصدر الذي اعتمد عليه أو مطبوعته، و
ذلك كان في غاية الأهمية في زمانٍ لم تكن الطباعة فيه قد انتشرت بشكل كبير، و لم
تكن قد أخذت رونقها، و لم يكن عند الناس الحاسوب الآلي "الكومبيوتر"، فذكرُ
وصف النسخة و الكتاب المعتمد في النقل يكون ضرورياً للباحث، و على الأخص

١. أنظر ص ٢٨٧ من الكتاب.

٢. أنظر هامش ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

في مقام الاحتجاج و حل الاختلاف و بيان القول الفصل. و هو يدل على نقل المؤلف من المصدر الأمّ دون واسطة، و هو أشدّ في التثبّت، كما أنّ ذلك الوصف يفيدنا في التعرّف على مكتبة العلامة الأميني قدس سره. و أمثلة ذلك كثيرة في الكتاب، خصوصاً الكتب النادرة أو القليلة التداول بين أهل العلم و الناس.

فمن ذلك قوله: و في "مناقب المائة" للشيخ الثقة الأجل أبي الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان قدس الله سره - والكتاب موجود عندنا - عن أبي سلمى (ص ٧٢)... إلخ. و أكّد ذلك في موضع آخر فقال: و نحن نذكر لفظ الشيخ الثقة شيخ مشايخ الأجلة أبي الحسن بن شاذان في المنقبة التاسعة و الأربعين من كتابه مناقب المائة الموجود عندنا. (ص ١٧٦)

و قال: و في "تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي" رحمه الله - الموجود نسخته عندنا - روى في سورة البقرة (ص ٧٢)... إلخ.

و أكّد ذلك مرّة أخرى في موضع آخر فقال: نحن نذكر لفظ رئيس المحدثين في عصره فرات بن إبراهيم الكوفي رحمه الله في تفسيره الموجود عندنا. (ص ١١٩) و كرّر ذلك ثالثه قائلاً: فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره - و الكتاب موجود عندنا - قال حدثنا علي بن عتاب (ص ٢٠٤)... إلخ.

و قال: و في "دلائل الإمامة" للشيخ الأجل محمد بن جرير الطبري - والكتاب موجود عندنا - ما روى بإسناده عن سلمان (ص ٧٣)... إلخ.

و قال: و في "كفاية الطالب" للإمام الحافظ محمد بن يوسف الكنجي - والكتاب موجود عندنا - روى بإسناده عن النبي ﷺ حديثاً طويلاً (ص ٧٥)... إلخ.

و قال: الرابع: إنّه [أي أمير المؤمنين عليه السلام] أول الناس لقاءً لرسول الله ﷺ و أولهم و وروداً عليه، كما في الطرفة العشرين من كتاب "الطُرف" للسيد المعتمد ابن طاووس - و الكتاب موجود عندنا - عن مفضل (ص ١٧٣)... إلخ.

و قال: في خصائص الأئمة للسيد الشريف الرضى رحمه الله - و الكتاب موجود عندنا - عن أصبغ بن نباتة (ص ٢٠٤)...

و قال: و رواه السيد الأجل ابن طاوس رحمه الله في كتاب اليقين - الموجود عندنا - نقلاً عن كتاب محمد بن العباس (ص ٢٠٥) ... الخ.

و قال مرة أخرى: في الباب الخامس و الستون من كتاب "اليقين" فيما نذكره من المجلد الأول... ثم كتب في الهامش عند كلمة "اليقين": هو للسيد الثقة الوجيه على بن طاووس رحمه الله، و هو موجود عندنا، منه رحمه الله (ص ٢٠٦).

و قال: الشيخ الثقة أبو محمد جعفر بن أحمد القمى رحمه الله في "كتاب العروس" - و نسخته موجودة عندنا - قال الصادق عليه السلام (ص ٢٥٤)...

و قال: في كتاب الكشكول فيما جرى لآل الرسول الموجود نسخته عندنا (ص ٢٦٦)...

و قال: في مختصر بصائر سعد بن عبدالله الموجود نسخته عندنا (ص ٢٦٦)...

و قال: ابن قولويه في كامل الزيارة الموجود نسخته عندنا (ص ٢٦٨)...

و هذا دأبه في كثير من المواطن و الكتب، و هذا الطريقة هى طريقة ابن طاووس رضوان الله عليه - التي ترسمها العلامة المجلسي - في ضبطه للكتب التي ينقل منها و ضبط أسماء مؤلفيها، و دقة وصف نسخها، لكن العلامة الأمينى - و للأسف - لم يضبط مواصفات الكتب التي كانت عنده، و لا ذكر تاريخ طباعتها، و لا مكان الطباعة، و لا اسم المحقق إن كان، و هذا ما يجعل مجرد ذكر وجود الكتاب عنده قليل الفائدة.

بقي شيء

و هو أنَّ الحقَّ و الإنصاف يقتضى أن نقول: إنَّ أسلوب العلامة الأمينى قدس سره أسلوب رائع متين رصين في كُُلِّ مؤلفاته و كتبه و تعليقاته و تحقيقاته، لكنَّ قَلَمَهُ و صياغته في كتاب الغدير يمتازان عن سائر مؤلفاته بعدوبة الألفاظ، و سحر البيان، و سعة الميدان كَرّاً و فَرّاً، ووفرة الأشعار و الأمثال و التفنن في العبارات، و تنميق

العبارات، و ترصيف الكلمات الذهبية.

فلا تجد مثل قوله و هو يفند بعض مزاعم ابن تيمية: «فإن كان هؤلاء الحفاظ و الأعلام خارجين عن أهل المعرفة بالحديث فعلى اسلام ابن تيمية السلام، وإن كانوا غير داخلين في الاتفاق فعلى معرفته العفاء، وإن كان لم يُحط خُبراً بإخراجهم الحديث حين قال ما قال فَرِهَ بطول باعه في الحديث، وإن لم يكن لا ذاك ولا هذا فمرحّباً بصدقه و أمانته على ودائع النبوة». (الغدير، ج ٣، ص ٢١٦)

كما لا تحصل على مثل قوله حول بيعة السقيفة الظالمة و حرق الدار: «فَرِهَ زَهْ بانتخاب هذا شأنه، و بَخْ بَخْ ببيعة تَمَّتْ بذلك الإرهاب، قضت بتلك الوصمات». (الغدير، ج ٧، ص ٨٧)

و حسبك روعةً قوله في الدكتور طه حسين: «لكنّ عجبى كلّ من مثل هذا الذي يرى نفسه مُتَقَبِّاً، و يحسبه فُذّاً من أفذاذ هذا العصر الذهبي، عصر النور، عصر البحث و التنقيب الذى مُنى بمثل هذا الدكتور و أمثاله من جِمالٍ مُسْتَوِقَةٍ، يُسْرُونَ حسواً فى ارتغاء» (الغدير، ج ٢، ص ٢٥٣)...

فهذه الصياغة الذهبية المشتملة على مثّلين متتابعين من أمثال العرب "استنوق الجمل" و "يسر حسوا فى ارتغاء" لا تجدها في كتاب المقاصد العلية.

و يقول في ردّ نظرية انتخاب الناس للخليفة بالشورى: «وليس من المأمون أن يقع انتخابهم على عاث، أو يكون التياثهم بمُشاغب، أو يكون انثيالهم وراء من يُسَرُّ على الأمة حسواً فى ارتغاء، أو يقع اختيارهم على جاهل يرتبك في الأحكام فيرتكب العظائم، و يأتى بالجرائم، و يقترف المآثم»... (الغدير، ج ٧، ص ١٣٣)

فها أنت ترى حُسْنَ العبارة و رشاققتها، و سطوع الكلمات و إشراقها، و تطعيم الكلام بالمثل، و انسياب الطباق و الجناس بمنتهى العفوية و تسلسل السجع كالسلسال العذب.

و لعلّ العذير في ذلك أنّ في الغدير مجالاً للكلام التاريخي و الأدبي، و متسعاً

للمُساجلة والإبداع الخطابي، وهذا ما لا يمكن تجسّمه في مثل مطالب المقاصد
العلية البحتة في العلم، والتمخّض بالغور في أعماق التفسير والتأويل والحديث و
المعرفة.



ولعلّ للتراكم المعرفي، ورفرة التجربة، وخوض الميدان مرّة بعد أخرى، وطول
الاستقرار في النجف الأشرف بين العرب الأفتاح وكبار الأدباء، لعلّ لكلّ ذلك اثراً
في صقل الموهبة الادبية، ورؤيّة القلم، واتّحاد النسيج أكثر فأكثر.
وفي نهاية المطاف لا يسعنا إلّا أن نقف إجلالاً وإكباراً أمام هذه الشخصية الفدّة،
والكتب النادرة، التي تلافت فيها الأفكار والآداب، حتى انتجعت ثماراً يانعة في
جنان التراث الشيعي.
والحمد لله رب العالمين على ما منّ وألهم، وأعطى وأكرم، والصلاة على النبي
الأمّي الأمين، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.